

شهريات

حذار تلك النزعة! ..

ممت في الشهر الماضي بزيارة القاهرة للمشاركة في الدورة الثانية عشرة للمكتب الدائم لكتاب آسيا وأفريقيا . وقد لقيت في عاصمة مصر العربية ، بعد انقطاع يقارب العام ، كثيرا من الاصدقاء والادباء الذين أحبهم واحترمهم ، وكان على رأسهم اديباؤنا الكبار توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ولويس عوض وزكي نجيب محمود وحسين فوزي الذين زرنهم في جريدة « الاهرام » برفقة صديقي الشاعر حبيب صادق امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي حضر معي جلسات المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الآسيويين .

وفي لقاء « الإدم » حدثنا الاستاذ توفيق الحكيم عن ندوة هامة ستعقد قريبا كان الاستاذ محمد حسنين هيكل ، قبل خروجه من « الاهرام » قد تبنى الدعوة إليها . استجابة لرأي سجله توفيق الحكيم في الشهر الماضي ، واقترح فيه مشروعاً أطلق عليه اسم « مشروع التعمير الحضاري » .

وشرح لنا الحكيم رأيه هذا بما تلخصه هنا :

لنداعترف أوروبا أخيراً بما العرب من تأثير اقتصادي عليها ، لا سيما بعد حرب أكتوبر التي شهر فيها العرب ، الى جانب السلاح العسكري ، سلاح البترول . وأوروبا تعامل العرب اليوم ، على هذا الصعيد ، معاملة اندلند ، بعد ان كانت تعاملهم ابدا معاملة السيد للعبد . ولكننا نشعر ان قصر هذه المعاملة على الميدان الاقتصادي فيه افتئات علينا كشعوب ذات ثروات حضارية كبيرة . فينبغي ان نعمل الان احمل أوروبا على الاعتراف بترائنا الحضاري هذا ، لا سيما ذلك الموروث من التاريخ القديم كالحضارة الفرعونية والحضارة الفينيقية وحضارة بلاد ما بين النهرين الخ . . .

ثم التفت الاستاذ الحكيم اليّ يتساءل :

— لماذا نجد بعضكم في لبنان مثلا يتنكرون للحضارة الفينيقية وهي ذات أثر كبير في تاريخ لبنان ؟ فأجبت قائلاً :

— لسنا من الذين يتنكرون لاي جزء من تاريخنا الحضاري . بل نحن نعتز بان حضارتنا هذه حصيلة عهدود تاريخية مختلفة زادت غنى و ثراء . ولكن الذي نكره ان تكون هناك نزعات تريد ان تسقط من تاريخنا الحضاري جزءا هاما هو التاريخ العربي ، ولا تعترف الا بالحضارة الفينيقية . وهذه نزعة أشبه بالنزعة الفرعونية لدى بعض المفكرين المصريين المعاصرين . فهم يريدون ان يبعثوا الحضارة الفرعونية ولا يعترفون بسواها . هؤلاء عندكم واولئك عندنا يمسحون التاريخ حين يسقطون منه العهد العربي ويزيفون الواقع الراهن الذي هو في المقام الاول واقع عربي . . .

وهنا رأينا الدكتور حسين فوزي ينتفض ويقول بلهجة حماسة غربية :

— هو مين اللي يقول ان مصر عربية ؟ مصر دي مش ارض عربية ، دي مصر وبس . . . واحنا ما نوافقش انو نمحي اسم مصر ونسميها الاقليم الجنوبي زي ما حصل في الماضي . . . قلت له بهدوء :

— لقد تم ذلك في عهد الوحدة المصرية السورية حين اندمج البلدان في « الجمهورية العربية المتحدة » فتنازلت سوريا كذلك عن اسمها لتتخذ اسم « الاقليم الشمالي » . ولكن هل تعتقد ان « الاسم » هو كل مقومات الدولة ؟ وروح « الوحدة » وهي الإرادة المشتركة ، ليست هي المقوم الاول للامة في مفهومها التاريخي والحضاري ؟ قال الدكتور حسين فوزي :

— عروبة مصر ليست أصيلة ، وانما هي مجرد رد فعل لقيام اسرائيل !

وتدخل الاستاذ لطفي الخولي الذي كان قد انضم الى المجتمعين ، فأدان الروح الاقليمية الضيقة التي يصدر عنها الدكتور حسين فوزي ، ثم قال لنا ان مجلة « الطليعة » التي يشرف على تحريرها ، وتصدر عن « الاهرام » ، استدعو لعقد ندوة معاكسة لندوة « التعمير الحضاري » هذه .

واكتفيت أخيراً بان أقول معلقاً :

— حرب تشرين التي سجلت نصراً لا شك فيه ، هل هي حرب مصرية ، ام حرب مصرية عربية ؟ وسلاح البترول الذي استخدمه العرب ، والذي يعترف الاستاذ توفيق الحكيم بأهميته الاقتصادية ، ليس هو سلاحاً عربياً ؟ اوليست نظرية الدكتور فوزي هنا تصدر عن المنطلق نفسه الذي تصدر عنه النزعة الفرعونية حين تتفاضى عن الواقع الراهن والمستقبل المنشود لتعود الى الماضي الذي زال ، وأن كنا نعتبره حلقة من حلقات ترائنا الحضاري ؟

هذا ما جرى في ذلك اللقاء القصير الذي اتيح لنا في مكتب الاستاذ توفيق الحكيم بجريدة « الاهرام » . وقد خرجت انا وحبيب صادق مذهولين لهذه « الردة » التي نشهدها في بعض اوساط المثقفين المصريين . ولكن عزاءنا ان هذه النزعة محصورة وضيقة ، وان أجيالاً جديدة من مثقفي مصر تحمل نزعة مناقضة ، وتعمل بلا هوادة لتعميق العروبة في ارض الكنانة .